ثلاثة تحوّلات أدبية بعد عام ٢٠٠٣

صلاح نيازي

موليير

اوسكار وايلد

عزرا باوند

كأنْ بصورة تلقائية، وبدون عسر ولادة، طرأت على أدبنا العراقي، ثلاثة تحوّلات خطيرة، لم نعرفْ لها مثيلاً من قبل. يبدو أن هذه التحوّلات إنّما نشأت بزخم ديالكتيكي لا علاقة له بأيّ نهج ثقافي رسمي، أيْ بعيداً عن أروقة الحكومة.

التحوّل الأوّل ببساطة، وفاة شعر المدح، مرّة واحدة، وكأنْ بسكتة قلبية، أو جلطة دماغيّة. لم تُذرفْ عليه دمعة رغم عمرهً الذي امتدّ، لقرون وقرون. اختفى، عسى إلى غير رجعة، مشهد ذلك الشاعر بين يديْ السلطان وهو ينشد ببحيح عاطفي، شعره المشحون بالمفرقعات المجازية. لهب ولا نار. نور ولا هداية. تجارة بائرة خاسرة، لكنها درّت على أصحاب المواهب الفاترة mediocre ربحا ماديا مؤقتا وجاهاً غير ذي بال.

الغريب؛ إن المدحيات وإن وُلدت متزامنة تقريباً في شتى البلدان العربية، إلا أنها وجدتْ في البيئة العراقية خير مقام. استفحلت في العصر العباسي، وابتُذلتْ في العهد السابق.(قد يجمل القول إن فئة من الشعراء العبّاسيين المهمين ابتعدوا، عن المدحيات كلية، عن مبدأ). قلنا العهد السابق لأنه حثّ بالإكراه على هذا النوع من النظم، وإلاّ فالعصا وقد تشير إلى الحتف. غصت شاشات التلفزيون، والملاحق بقصائد مطلية بأصباغ مستعملة، مرّة بعد مرّة، ما أن تجفّ مناسبتها حتى تتقشّر. كأصباغ الأرصفة وسيقان الشجر لدى زيارة ضيف رسمي أجنبي.

×××

التحوّل الثاني، هو نشوء أدب السخرية، على حساب الأدب الهجائي.

يبدو أن الهجاء، شعرا ونثراً، هو من السمات الأساسية في الأدب العربي، أو هكذا يتعلمه الطلاّب ويحفظونه عن ظهر قلب. بالمقابل فإنّ أدب السخرية من سمات الادب الغربي منذ العصر الإغريقي. ألا يكفي أن نذكر ارستوفينيس الإغريقي. (والتذكير هنا بمسرحيتيه: الغيوم، والفرسان)، وموليير الفرنسي، وأوسكار وايلدْ الإيرلندي.

قد يكون الجاحظ بمستوى اكبر الكتاب الساخرين في العالم، وكذلك بديع الزمان الهمذاني في مقاماته، وابن دانيال الموصلي في بابات خيال الظلّ. (للاسف ضاع شعر ابن دانيال. ما بقي منه من شذرات، ينم بلا شك عن تفرّدٍ في القول الشعري وعن موهبة ساخرة فذة)، إلا أن تآليفهم توقفت منذ قرون في بيئتها الأصلية نتيجة الحروب، ولكنها نمت وتلاقحت في الأدب الأوروبي، (أعتقد شخصياً أن الأوبرا تطورت في القرنين الثالث عشر والرابع عشر بجنوب إيطاليا عن مسرح خيال الظلّ، أما مقامات الهمذاني فقد تطوّرتْ، كما هو موثقٌ، إلى روايات البيكارسك الاسبانية، picaresque أي المشردين، وهي أحد جذور الرواية الأوروبية الحديثة).

عرف الهجاء قديماً باسم المنافرة التي تعَود أصولها إلى العصور السومرية. يقف فيها شخصان دون معرفة سابقة يتنابزان بأقذع الشتائم، وحولهما أناس يتفرجون عليهما. اعتبر أحد النقاد السوريين هذا النوع من التلاسن نواة المسرح العربي، وهو كما يبدو قول بُسْر. مهما دار القول؛ قد يكون الجاحظ أول من انتبه إلى الفرق بين السخرية والهجاء أسماء الممثلين، وكانوا قبل ذلك في خبر كان فعلاً. القانون سابقاً ما يرتئيه الباب العالي كتابةً أو تفوّهاً. قال الملك لير: ما أقوله هو القانون. لكن الملك لير كان تحت سلطان الجنون حين قال تلك الجملة الطائشة.

يذكر الشاعر الأمريكي عزرا باوندْ اننا تعلمنا القانون من المسرح الإيطالي. وفق هذا الرأي فإنّ اللغة الأدبية تتطور إلى لغة قانونية.

من الطريف ان النواب في مجلس العموم البريطاني، يتبادلون التهم بكلمة rhetoric حينما يمعن النائب الذي عزاه إلى اللؤم.

لكنْ كيف نشأ أدب السخرية هذه الايام؟ وكيف انتشر، ولا سيّما في المواقع الألكترونية؟

ما همّ، لقد كُتبتْ بعض تلك المقالات الساخرة باللهجة العامية فكان، مفعولها أكثر إدهاشاً. واللهجة العامية إنْ كان وراءها فكر مثقف، ترتفع إلى مصاف المأثورات.

×××

المشهد الثالث هو تحوّل الخطاب الأدبي، إلى خطاب قانوني. يدشّن هذا التحوّل مرحلة مهمة في تقدّم الامم، لانه اكثر موضوعية أوّلاً، ولانّه يؤدي إلى الخطاب العلمي.

لا عجب؛ إنْ بات للقضاة اليوم الكلمة الفصل، ولرجالات القانون حصة الأسد في الندوات التلفزيونية والبرلمان. أصبحت أسماؤهم متداولة أكثر من بالتحدث بلغة بليغة ولكنها خالية من المستندات.

أكثر من ذلك فإن اللغة القانونية في بعض وجوهها أقرب إلى العلم من حيث دقتها وموضوعيتها وابتعادها عن الأهواء والنزوات. من هنا خطورة (الحملة الإيمانية) التي دعا إليها العهد السابق. فهم من حيث لا يدرون إنما كانوا يعيدون اللغة إلى الوراء مرحلتين ثقافيتين. من ناحية ان تلك الحملة أوقفتْ، من حيث طبيعتها الغيبية، اللغة القانونية واحتمالات تطورها إلى لغة علمية، وثانياً أرجعت اللغة الأدبية نفسها إلى لغة دينية يقينية. هكذا تقلّصت إلى مجرد لغة تلقينية خالية من التلاقح شأنها شأن اللغة العسكرية لا تعرف إلا فعل الأمر والطاعة.

من النافلة ان اللغة التي تصبح يقينياتها أكثر من احتمالاتها، تتعرض تدريجياً إلى الانقراض.

التشكيلي محمد هتلر: تدوين العلاقة بين اللون والنور

عدنان أبو زيد

محمد هتلر ناجي، تشكيلي عراقي شاب، تخرج من أكاديمية الفنون الجميلة في بابل العام ٢٠١١، وحلمه تجسيد شخصيته الفنية وأسلوبه في التشكيل، لكنه يصطدم اليوم بانحسار الاهتمام الجمعي بالفن، وانعدام فرص التعبير عن الذات الفنية، نجح محمد في رسم البورتريت والطبيعة العراقية، كما تميز بأسلوبه الانطباعي في رسم الطبيعة، إضافة إلى إجادته الأسلوب الكلاسيكي في رسم الموديل والبورتريت، له تجارب في المدرسة الواقعية، إضافة إلى محاولاته الحثيثة في تبني منهج الفن الحديث عبر توظيف حركة الجسم الرياضي في اللوحة الفنية.

يرى محمد أن تجربته الفنية، هي جزء من حركة تشكيلية عراقية تحقق النجاحات وتعاني الإخفاقات والصعوبات في الكثير من الأحيان.

يوظف محمد هتلر أسلوبه الانطباعي نحو ترسيخ ذاته الفنية عبر تضاد لوني وبأسلوب انطباعي. ويرى محمد أن الجيل الجديد يتجنب الخوض في الأسلوب الانطباعي، بل أن البعض لا يفهمه جيدا، فكثيرون يرون أن الانطباعية تعني رسم الواقع وإضفاء صفات العفوية والارتجالية عليه فحسب، في حين أن لهذه المدرسة، قواعدها وأصولها وفلسفتها.

وبحسب نقاد فإن محمد نجح أيما نجاح في توظيف اللون لاسيما البرتقالي والبنفسجي في تجسيد تأثيرات تبدل الضوء على الأشياء، ولاسيما ضوء الشمس، مما يضعه في خانة الفنانين الانطباعيين.

يقول محمد: احرص اشد الحرص على ترجمة تبدلات المشاعر والانفعالات إلى لوحة، تزامنا مع التبدل اللحظي للضوء الساقط على الجسد أو الشيء.

وحول وظيفة الفن اليوم، يقول محمد: الرسام بطبيعة الحال لا يفسر الظواهر بل يصفها وفقا لرؤية جمالية، ويحاول في غالب الأحيان إبعاد صفة القبح عن الأشياء، عبر إعادة صياغتها برؤية جمالية تتألف من اللون والحركة. وربما يحاول الفنان في الغالب عبر التجريد إزالة ملامح القبح من الأشياء، وكذلك الحال مع الفنانين الانطباعيين والتعبيريين.

ويرى محمد أن الفن التشكيلي العراقي معروف عالميا، لكن الظروف الاقتصادية والسياسية التي مر بها العراق، قللت من مساهماته في رفد الحرة الفنية العالمية بالأعمال. أضف إلى ذلك فإن الحصار الاقتصادي وفترات الاضطرابات، سببا عزوفا مجتمعياً عن الفن بسبب انشغال الناس بلقمة العيش.

وحول ثيمات أعماله الفنية، يرى الفنان محمد انه مصنف كرسام انطباعي في الكثير من الحالات، عدا مواقف تشكيلية يكون فيها كلاسيكيا وواقعيا، ويتابع: ربما إلى الآن ظل تطوري الشخصي ضمن هذا الاتجاه. وعبر التقاط صور الطبيعة أحاول تجاوز (المشهد المنظور) وإعادة صياغته جماليا.

ويقول: انه في البعض من أعماله يسعى الى دمج أكثر من أسلوب فني، بين الانطباعي والكلاسيكي والرمزي. ويتابع: لعل هذا يدل على أني لا أسعى إلى (صرامة أسلوبية) طالما أن العمل يتيح لي حرية التعبير بالأسلوب المعين في اللحظة المعينة. وفي الوقت الحاضر فإن اغلب مواضيعي هي الطبيعة والبورتريت.

أقام محمد سلسلة من المعارض منها على سبيل المثل لا الحصر، مجموعة معارض شخصية في كلية الفنون الجميلة العام ٢٠٠٩، ومعرض يوم المرأة العالمي العام ٢٠٠٨ ومهرجان الثقافة والفنون في العام ٢٠٠٩، ومشاركات في معارض نقابة الفنانين في بابل، ومهرجان فائق حسن في النجف، في كل هذه المعارض يشير النقاد إلى قدرته على التنوع اللوني، وغزارة استخدام ألوان الطبيعة أي ألوان أشعة الشمس.

طاولة المدى المستديرة (من أجل عودة الروح إلى السينما العراقية)

دعوة إلى تأسيس صندوق لدعم السينما

محمود النمر

ضمن سلسلة الندوات نصف الشهرية الفكرية والثقافية التي تنظمها (المدى)، أقيمت ندوة حوارية أمس بعنوان "من اجل عودة الروح إلى السينما العراقية"، اشترك فيها عدد من المهتمين بواقع "الفن السابع العراقي"، من مخرجين وأكاديميين وممثلين وكادر سينمائي، شخصوا فيها أهم المعوقات التي واجهت واقع السينما العراقية.

أدار الجلسة الناقد السينمائي علاء المفرجي الذي قال: اخترنا أن تكون الندوة الحالية عن هموم السينما العراقية، وقد اعد المختصون بهذا المجال مداخلات لمناقشة هذا الموضوع المهم، خاصة بعد الدور الذي بدأت تلعبه السينما كوسيلة اتصال ناجعة، وتكريسها لعلاقات حضارية بين الشعوب، وقد كان اعتلاء إيران ممثلة بفيلم "انفصال" للمخرج اصغر فرهادي لمنصة "الأوسكار" دليلا على انه يمكن لسينما العالم الثالث خارج نطاق السينما الهوليوودية أي خارج معاقل السينما التاريخية وأن تؤكد حضورها المهم في المحافل السينمائية.

وأضاف المفرجي: هناك ورقة نشرت يوم الخميس الماضي في الصفحة الثقافية لجريدة (المدى) تحمل العنوان نفسه ونأمل أن تكون محورا لمناقشاتنا لهذا اليوم.

وكان أول المتحدثين الفنان الرائد سامي عبدالحميد الذي استذكر مقولة الملحق الفرنسي عندما كان يحضر إلى قاعات المسرح في الستينيات "أنا أتنبأ بأن يكون للمسرح العراقي مستقبل زاهر ولكنني لا أتنبأ بأن يكون للسينما العراقية مثل هذا المستقبل"، وكانت له أسبابه، فالسينما صناعة وفن وتجارة، أولا صناعة تحتاج إلى أجهزة والى استوديوهات، والأجهزة كانت متوفرة لدينا على أحسن ما يرام، والآن اعتقد بهذه المبالغ الكبيرة التي تمتلكها الدولة، بإمكانها أن تبني استوديوهات وتستورد احدث الأجهزة، والفن موجود إذ أن هناك فنانين شهدت لهم المحافل الخارجية بإمكاناتهم السينمائية وقسم منهم حصل على جوائز. واعتقد انه ليس من الصعب تطوير خبرات التصوير والمونتاج وما إلى ذلك ولكن هذا يحتاج إلى مناخ مناسب لتطويره.

فيما أشار الأكاديمي د. ثائر العراقي إلى هموم الأكاديمي والطالب في قسم السينما والتلفزيون تحديدا، وقال: لدينا بعض التخلف في المناهج، والآن بدأنا بتطوير عملنا خلال السنتين الماضيتين، ووصلنا خلال هذه السنة إلى تغيير اسم القسم من "قسم السمعية والمرئية" إلى قسم السينما والتلفزيون" ليكون أكثر وضوحا وتخصصا، وهذه الخطوة الأولى عندما جعلنا قسم السينما والتلفزيون بهوية واضحة والخطوة الثانية التي تابعها د.عبدالجبار بشكل مباشر هي أن نقوم بفتح تخصصات دراسية.

وقال المخرج والممثل عزيز خيون رئيس محترف بغداد المسرحي في ورقته الموسومة "السينما العراقية – قلق المحاولة وآفاق التأسيس": عندما تأسست أقسام لدراسة السينما في معهد الفنون الجميلة، بقيت هذه الدراسات في حدود الدرس النظري لنيل الشهادة، ودراسة بعيدة عمّا يغذيها في التجربة العملية، ميدان التحقق والتعليم الأساس، ممّا جعل هذه المعلومات حبيسة جدران الدرس النظري، ولم يفاجئنا دارس للسينما بتجربة ممكن أن تبشر ببداية واثقة للسينما العراقية وإنما ظل العقل السينمائي العراقي يخضع في فعله للصدفة حتى عندما تأسست مديرية للسينما في مؤسسة تعنى بالمسرح والسينما.

وبيّن المخرج رعد مشتت أسباب عرقلة إخراج فيلمه الذي من المؤمل أن يحظى بتمويل من وزارة الثقافة قائلا: إن المشكلة بالدرجة الأساس هي مشكلة تشريعية تتعلق بأنظمة وقوانين الدولة، فعندما قدمت مشروع فيلمي إلى وزارة الثقافة قالوا نحن لا نستطيع أن نتعامل معه، لابد أن يخضع لمناقشة ثلاثة أشخاص وينشر بالجريدة الرسمية ويبقى منشور لمدة ثلاثة أسابيع ونختار منهم ثلاثة، وهذا الأمر "الوزير غير قادر على حله" وحتى مجلس الوزراء. وأضاف رعد: نحن بحاجة إلى "لوبي" يضغط على الدولة وعلى البرلمان ولدينا لجنة ثقافة وفنون في البرلمان ويجب ان نكون على صلة مباشرة بها بهدف أساسي هو تشكيل صندوق لدعم السينما.

السينمائي عبدالعليم البناء وهو من الكوادر القديمة في السينما والمسرح قال: لعل اخطر وأصعب مرحلة مرت بها السينما العراقية هي مرحلة تحويل دائرة السينما والمسرح وشمولها بقانون الشركات وخضوعها لنظام التمويل الذاتي في النصف الثاني من تسعينيات القرن الماضي، الأمر الذي أدى إلى انتكاسة حقيقية وشاملة للسينما العراقية لم تشهدها من قبل وقد فاقمت هذه الانتكاسة ظروف الحصار الشامل المفروض على العراق آنذاك فكان أن توقفت عجلة الإنتاج السينمائي بانتهاء إنتاج الفيلم الروائي الطويل (الملك غازي) للمخرج القدير محمد شكري جميل الذي بقي منذ تلك اللحظة يحاول ويحاول الشروع برائعة جديدة ولكنه لم يفلح وقد لا يفلح أبداً حتى وان حصلت الموافقة على فيلمه الروائي الجديد (المسرات والأوجاع) الذي كتب السيناريو له الكاتب ثامر مهدي عن رواية بالاسم ذاته للأديب الراحل فؤاد التكرلي ضمن مشروع بغداد عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠١٣ لأسباب سنأتي على ذكرها لاحقا.

قناديل

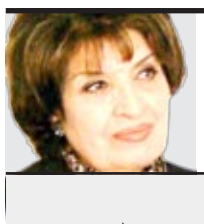

لطفية الدليمي

ائتلاف شارع المتنبي!

لا تفزعوا من مصطلح ائتلاف أيها المعنيون بالسياسة والأحزاب والتحالفات، فلن يزاحمكم (ائتلاف شارع المتنبي) ولن ينافسكم في الانتخابات لسبب بسيط هو انه ائتلاف ثقافي معني بشارع الكتب والثقافة في بغداد بعد كارثة تفجيره،والجميل في هذا الائتلاف الذي تأسس في ٢٠٠٨ في سان فرانسيسكو – ولاية كاليفورنيا الأمريكية انه مبادرة شخصية من مؤسسه مالك شركة لبيع الكتب الشاعر الأمريكي (بو بوسوليل).

دعاني الشاعر بو إلى الانضمام للمشروع الذي شارك فيه الروائي العراقي سنان انطون وشعراء وكتاب وفنانون من أميركا وبريطانيا والعراق فأرسلت له مقالة عن الحدث وبعد أن ترجموا المقالة كتب لي:(عزيزتي – مرة أخرى أكتب لك أنا مؤسس ائتلاف شارع المتنبي- دعيني أوجه لك الشكر الجزيل لأنك أصبحت عضوا فاعلا في المشروع – فقد استخدمت مقالتك للتعريف بمشروع ائتلاف شارع المتنبي والمساهمة فيه – وأخذت أرفقها مع الرسائل التي أرسلها للجميع – مقالتك جميلة ووافية ومؤسية ومفعمة بالأمل أيضا وهذا هو الأهم – أنت كاتبة رائعة حقا) بعد تلك الرسالة كتب لي رسالة أخرى يهديني فيها إحدى قصائده تعبيرا عن امتنانه (إليك هذه القصيدة كعربون شكر صغير لمقالتك الرائعة ومساهمتك في الائتلاف فقد ألهمت مقالتك الرسامين من أصدقاء المشروع فرسم الفنان البريطاني نك دانس نشرة مطوية كعمل فني للمعرض ويود إرسال نسخة منها لك كما رسم فنانون آخرون أعمالا استوحوها من قراءتهم لمقالتك وسألني هؤلاء الفنانون في ما إذا تتوفر ترجمة انكليزية لروايتك (خسوف برهان الكتبي) فان ذلك سيكون ذا نفع كبير لمشروعنا)..

ثم واصل الشاعر بو رسائله لي حول مستجدات المشروع دون انقطاع طوال السنوات الثلاثة الماضيات وكان آخرها ما وصلني صباح اليوم – يخبرنا فيها عن احتفال أقيم صباح الجمعة ٢ شباط في مقر شركته المتخصصة ببيع الكتب في مدينة سان فرانسيسكو – اجتمع فيه كتاب وشعراء وفنانو كتب ومصممو أغلفة لاحتساء الشاي معا، والاستماع الى قراءة لقصائد ونصوص عن شارع المتنبي في الذكرى الخامسة لتفجير السيارة المفخخة في شارع المتنبي سنة ٢٠٠٧.

كانت اول خطوة عملية للمشروع إشراك فنانين معروفين في فن إخراج الكتب لاستلهام لوحات وأعمال فنية من النصوص والقصائد العربية والأمريكية التي شكلت (انطولوجيا شارع المتنبي) وهو الكتاب الذي سيضم جميع المساهمات الأدبية والفنية التي قدمها أعضاء الائتلاف، ثم توالت المعارض والأنشطة في معظم الولايات والجامعات وغاليريات الفنون وانتقل المشروع إلى بريطانيا إذ أقيمت معارض في مدن عدة منها بر يستول ولندن وستقام قراءات في مدينة اكستر خلال الأيام القادمة بمناسبة الذكرى الخامسة لتفجير شارع المتنبي ويقام الآن معرض لأعمال إحدى فنانات الائتلاف في لندن وتستمر المعارض والقراءات حتى أيلول ٢٠١٣، إذ سيقام معرض لفن الكتب في مركز نيويورك للكتاب وفي مانشستر ونيو ارك وسان فرانسيسكو ونيو جيرسي، وهناك معرض وقراءات في مكتبة ويستمنستر في لندن افتتح في ٢٧ شباط ويستمر حتى ١٧ آذار، كما سيفتتح معرض في مكتبة باول روتوند في لوس أنجلس في يوم الذكرى ويستمر حتى منتصف نيسان وقد بلغ عدد المشاركين في الائتلاف من الفنانين نحو ٢٦٠ مصمم كتب ورساما.

ترى، هل فكر مثقف عربي ممن كانوا يتلقفون الكتب الثمينة من شارع المتنبي في إقامة مشروع مماثل؟ أم أن الشاعر الأمريكي كان من رواد المتنبي اللامرئيين ووفاء منه للكتب والمكتبات أسس الائتلاف الجميل؟